بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. اما بعد:

منارات ومميزات خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم

أبو بكر الصّدّيق (عبد الله بن أبي قحافة)

تخطيط لاسم أبي بكر الصديق ملحوق بدعاء الرضا عنه

أبو بكر، الصّدّيق، العتيق، الصاحب، الأتقى، الأوّاه، ثاني اثنين في الغار، خليفة رسول الله، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه

الولادة

(٥٠ ق.هـ / ٥٧٣م) مكة، تهامة، شبه الجزيرة العربية

الوفاة

جمادى الأولى ١٣هـ / ٢٣ أغسطس ٦٣٤م المدينة المنورة، الحجاز، شبه الجزيرة العربية

مبجل(ة) في الإسلام: أهل السنة والجماعة، الإباضية، الدروز، الشيعة الزيدية

المقام الرئيسي

المسجد النبوي، إلى جانب النبي محمد وعمر بن الخطاب، المدينة المنورة

النسب

أبوه: أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو التيمي القرشي

أمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر التيمية القرشية

زوجاته: قتيلة بنت عبد العزى، وأم رومان بنت عامر، وأسماء بنت عميس، وحبيبة بنت خارجة.

ذريته: عبد الرحمن، وعبد الله، ومحمد، وأسماء، وعائشة، وأم كلثوم.

ولد أبو بكر الصدِّيق في مكة سنة ٥٧٣م بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر،وكان من أغنياء قُريش في الجاهليَّة، فلما دعاه النبي مُحمد إلى الإسلام أسلمَ دون تردد، فكان أول من أسلم مِن الرجال الأحرار. ثم هاجر أبو بكر مُرافقاً للنبي مُحمد من مكة إلى المدينة، وشَهِد غزوة بدر والمشاهد كلها مع النبي مُحمد، ولما مرض النبي مرضه الذي مات فيه أمر أبا بكر أن يَؤمَّ الناس في الصلاة. توفي النبي مُحمد يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وبويع أبو بكر بالخِلافة في اليوم نفسه، فبدأ بإدارة شؤون الدولة الإسلامية من تعيين الولاة والقضاء وتسيير الجيوش، وارتدت كثير من القبائل العربية عن الإسلام، فأخذ يقاتلها ويُرسل الجيوش لمحاربتها حتى أخضع الجزيرة العربية بأكملها تحت الحُكم الإسلامي، ولما انتهت حروب الرِّدة، بدأ أبو بكر بتوجيه الجيوش الإسلامية لفتح العراق وبلاد الشَّام، ففتح مُعظم العراق وجزءاً كبيراً من أرض الشَّام. توفي أبو بكر يوم الإثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فخلفه من بعده عمر بن الخطَّاب.

سقيفة بني ساعدة

لما علم الصحابة بوفاة الرسول محمد، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه، وهو يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده، والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة، ولما بلغ خبرُ اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين، وهم مجتمعون مع أبي بكر لترشيح من يتولى الخلافة، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً.

قال عمر بن الخطاب: فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلين صالحين، فذكر ما تمالأ عليه القوم، فقالا: «أين تريدون يا معشر المهاجرين؟» قلنا: «نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار»، فقالا: «لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم»، فقلت: «والله لنأتينهم»، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: «من هذا؟»، فقالوا: «هذا سعد بن عبادة»، فقلت: «ما له؟»، قالوا: «يوعك»، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشرَ المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم (أي عدد قليل)، فإذاً هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر (أي يخرجونا من أمر الخلافة)»، فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: «على رسلك»، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: «ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم»، فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدَّم فتُضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: «أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش»، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت (لأبي بكر): «ابسط يدك»، فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار. وفي رواية أخرى قال عمر: «يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر رضيَ الله عنه؟» فقالت الأنصار: «نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر».

وفي رواية أخرى: فتكلم أبو بكر رضيَ الله عنه، فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا وذكره، وقال: «ولقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار»، ولقد علمت يا سعد (يعني سعد بن عبادة الخزرجي) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم»»، فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء.

وخطب أبو بكر معتذراً من قبول الخلافة فقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني». وقد ثبت أنه قال: «وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، فكان أميرَ المؤمنين وكنت وزيراً»، كما قال: «أيها الناس، هذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم على ذلك، وأكون كأحدكم»، فأجابه الناس: رضينا بك قسماً وحظاً، وأنت ثاني اثنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته، واستحلفهم على ذلك فقال: «أيها الناس، أذكركم الله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه»، فقام علي بن أبي طالب ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: «والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله فمن ذا يؤخرك؟».

البيعة العامة وخلافته

بعد أن تمت بيعة أبي بكر البيعة الخاصة في سقيفة بني ساعدة، اجتمع المسلمون في اليوم التالي للبيعة العامة، قال أنس بن مالك: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه»، فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

أبو بكر الصديق أما بعد أيها الناس، فإني قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. أبو بكر الصديق

المسجد النبوي، حيث تقع قبورُ كل من النبي محمد وأبي بكر وعمر بن الخطاب في المبنى ذي القبة الخضراء.

"خوخة أبي بكر" في المسجد النبوي.

وقال عمر لأبي بكر يومئذ: «اصعد المنبر»، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة. وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد فقال له: «أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، قال: «نعم»، قال له: «متى بويع أبو بكر؟»، قال سعيد: «يوم مات رسول

الله صلى الله عليه وسلم، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة»، قال: «هل خالف أحد أبا بكر؟» قال سعيد: «لا، لم يخالفه إلا مرتد أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه»، قال: «هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟»، قال سعيد: «لا، لقد تتابع المهاجرون على بيعته».

وقد وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي بن أبي طالب عن مبايعة أبي بكر، وكذا تأخر الزبير بن العوام، قال ابن عباس: إن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انشغلت جماعة من المهاجرين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بأمر جهاز الرسول من تغسيل وتكفين، وقد روى الصحابي سالم بن عبيد أن أبا بكر قال لأهل بيت النبي وعلى رأسهم علي: «عندكم صاحبكم»، فأمرهم يغسلونه.

وقد بايع الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب أبا بكر في اليوم التالي لوفاة الرسول محمد، وهو يوم الثلاثاء، قال أبو سعيد الخدري: لما صعد أبو بكر المنبر، نظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير بن العوام فدعا بالزبير فجاء، فقال له أبو بكر: «يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، أتريد أن تشق عصا المسلمين؟»، فقال الزبير: «لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقام الزبير فبايع أبا بكر، ثم نظر أبو بكر في وجوه القوم، فلم ير علياً بن أبي طالب، فدعا بعلي فجاء، فقال له أبو بكر: «يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته، أتريد أن تشق عصا المسلمين؟»، فقال علي: «لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقام علي فبايع أبا بكر. وفي رواية حبيب بن أبي ثابت قال: كان علي بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: «قد جلس أبو بكر للبيعة»، فخرج علي إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء وهو متعجل، كراهة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبا بكر ثم جلس، وبعث في ردائه، فجاؤوه به فلبسه فوق قميصه.

إدارة شؤون الدولة

بدأ أبو بكر إدارة شؤون الدولة بعد مبايعته بالخلافة، واتخذ من الصحابة أعواناً يساعدونه على ذلك، فأسند إلى أبي عبيدة بن الجراح شؤونَ بيت المال، وتولى عمر بن الخطاب القضاء، وباشر أبو بكر القضاءَ بنفسه أيضاً، وتولى زيد بن ثابت الكتابة (البريد)، وأحياناً يكتب له من يكون حاضراً من الصحابة كعلي بن أبي طالب أو عثمان بن عفان.

الولاية والولايات

استعمل أبو بكر الولاة في البلدان المختلفة، وكان ينظر إلى حسن اختيار النبي محمد للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا فقد أقر جميع عمال الرسول الذين توفي الرسول وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحداً منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه، كما حدث لعمرو بن العاص. وكانت مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر بالدرجة الأولى امتداداً لصلاحياتهم في عهد النبي محمد، أما أهم مسؤولياتهم في عهد أبي بكر فهي: إقامة الصلاة وإمامة الناس، والجهاد، وإدارة شئون البلاد المفتوحة، وتعيين القضاة والعمال عليها، وأخذ البيعة للخليفة، وبعض الأمور المالية كالزكاة والجزية، وإقامة الحدود، وتأمين البلاد، وكان لهم دور في تعليم الناس أمور دينهم، وفي نشر الإسلام

في البلاد التي يتولَّون عليها، وكان الكثير من هؤلاء الولاة يجلسون في المساجد يعلمون الناس القرآن والأحكام.

وقد قُسمت الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر إلى عدة ولايات، وهذه أسماء الولايات والولاة:

المدينة المنورة: عاصمة الدولة الإسلامية، وبها الخليفة أبو بكر.

مكة المكرمة: وأميرها عتاب بن أسيد الأموي القرشي، ولاه الرسول محمد، واستمر مدة حكم أبي بكر.

الطائف: وأميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولاه الرسول محمد، وأقره أبو بكر عليها.

صنعاء: وأميرها المهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي، وهو الذي فتحها ووليها بعد انتهاء أمر الردة.

حضرموت: وأميرها زياد بن لبيد الخزرجي.

زبيد ورقع: وأميرها أبو موسى الأشعري.

خولان: وأميرها يعلى بن أبي أمية.

الجند: وأميرها معاذ بن جبل الخزرجي.

القضاءنجران: وأميرها جرير بن عبد الله البجلي.

جرش: وأميرها عبد الله بن ثور الغوثي.

البحرين: وأميرها العلاء بن الحضرمي.

العراق والشام: كان أمراء الجند هم ولاة الأمر فيها.

سلطنة عمان: وأميرها حذيفة بن محصن القلعاني.

اليمامة: وأميرها سليط بن قيس الخزرجي.

القضاء

يعد عهدُ أبي بكر بدايةَ العهد الراشدي القريب من العهد النبوي، فكان العهدُ الراشدي عامة والجانبُ القضائي خاصة امتداداً للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه. وقد كان أبو بكر يقضي بنفسه إذا عرض له قضاء، ولم تُفصَل ولاية القضاء عن الولاية العامة في عهده، ولم يكن للقضاء ولايةٌ خاصة مستقلة، كما كان الأمر في عهد الرسول محمد، ففي المدينة عهِدَ أبو بكر إلى عمر بن الخطاب بالقضاء ليستعين به في بعض الأقضية، ولكن هذا لم يُعطِ لعمر صفة الاستقلال بالقضاء. وأقر أبو بكر معظم القضاة والولاة الذين عينهم الرسول محمد، واستمروا على ممارسة القضاء والولاية أو أحدهما في عهده.

وأصبحت الأحكام القضائية في عهد أبي بكر موئلاً للباحثين، ومحطاً لأنظار الفقهاء، وصارت الأحكام القضائية لتلك الفترة مصدراً للأحكام الشرعية والاجتهادات القضائية والآراء الفقهية في مختلف العصور. وقد ساهمت فترة خلافة أبي بكر في ظهور مصادر جديدةٍ للقضاء في العهد الراشدي، فقد صارت مصادرُ الأحكام القضائية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، والسوابق القضائية أو التقليد، والرأي الاجتهادي مع الشورى.

مناقب خلافة الإمام العادل الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مناقب خلافة الإمام العادل الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حيث الدلالات كثيرة من أهمها: العدل والقوة والقضاء وإقامة ديوان العطاء والاهتمام بالوقت والتاريخ ونشر العلم وحرية الفرد وكرامته الشخصية وبناء المدن والاهتمام بالزراعة وشق الأنهار وتمهيد الطرق بالأرقام التسمية بأمير المؤمنين

وبالجملة فقد اتسمت وتميزت خلافة الفاروق عمر بالعديد من الإنجازات الإدارية والحضارية، لعل من أهمها أنه أول من اتخذ الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي، كما أنه أول من دون الدواوين، وهو أول من اتخذ بيت المال، وأول من اهتم بإنشاء المدن الجديدة، وهو ما كان يطلق عليه تمصير الأمصار، وكانت أول توسعة لمسجد الرسول في عهده، فأدخل فيه دار "العباس بن عبد المطلب"، وفرشه بالحجارة الصغيرة، كما أنه أول من قنن الجزية على أهل الذمة، فأعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال، وجعلها ثمانية وأربعين درهمًا على الأغنياء، وأربعة وعشرين على متوسطي الحال، واثني عشر درهمًا على الفقراء.

فتحت في عهده بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وبرقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند وجرجان. وبنيت في عهده البصرة والكوفة وقد سمى الكوفة بجمجمة العرب ورأس الإسلام ويقول حسن العلوي أن عمر هو مؤسس حضارة رافدية مثله مثل سرجون الأكدي وحمورابي ونبوخذ نصر وكان عمر أوّل من أخرج اليهود من الجزيرة العربية

يقول مؤيدوه انه أول من وضع تاريخاً للمسلمين وأتخذ التاريخ من هجره رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١) هو أول من عسعس في الليل بنفسه ولم يفعلها حاكم قبل عمر ولا تعلم أحد عملها بانتظام بعد عمر.
٢) أول من عقد مؤتمرات سنوية للقادة والولاة ومحاسبتهم وذلك في موسم الحج حتى يكونوا في أعلى حالتهم الإيمانية فيطمئن على عباداتهم وأخبارهم.
٣) أول من اتخذ الدرة (عصا صغيره) وأدب بها.. حتى أن قال الصحابة والله لدره عمر أعظم من أسيافكم وأشد هيبة في قلوب الناس.
٤) أول من مصر الأمصار.
٥) أول من مهد الطرق ومنها كلمه الشهرة (لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر).
٦) أول من جمع الناس على صلاة التراويح.
٧) هو أول من جعل الخلافة شورى بين عدد محدد.
٨) أول من وسع المسجد النبوي.
٩) أول من أعطى جوائز لحفظة القرآن الكريم.
١٠) أول من آخر مقام إبراهيم.
١١) جمع الناس على أربعة تكبيرات في صلاة الجنازة.

مع غير المسلمين

١) أجلى اليهود عن الجزيرة العربية.
٢) أسقط الجزية عن الفقراء والعجزة من أهل الكتاب.
٣) أعطى فقراء أهل الكتاب من بيت مال المسلمين.
٤) منع هدم كنائس النصارى.

٥) تؤخذ الجزية على حسب المستوى المعيشي.

السياسة

١) أول من دون الدواوين.
٢) أول من اتخذ دار الدقيق (التموين).
٣) أول من أوقف في الإسلام (الأوقاف).
٤) أول من أحصى أموال عماله وقواده وولاته وطالبهم بكشف حساب أموالهم (من أين لك هذا).
٥) أول من اتخذ بيتا لأموال المسلمين.
٦) أول من ضرب الدراهم وقدر وزنها.
٧) أول من أخذ زكاه الخيل.
٨) أول من جعل نفقه اللقيط من بيت مال المسلمين.
٩) أول من مسح الأراضي وحدد مساحاتها.
١٠) أول من اتخذ دار للضيافة.
١١) أول من أقرض الفائض من بيت المال للتجارة.
١٢) أول من حمى الحدود.

الفتوحات والحروب

١) أقام المعسكرات الحربية الدائمة في دمشق وفلسطين والأردن.
٢) أول من أمر بالتجنيد الإجباري للشباب والقادرين.
٣) أول من حرس الحدود بالجند.
٤) أول من حدد مدة غياب الجنود عن زوجاتهم (٤ أشهر).
٥) أول من أقام قوات احتياطية نظاميه (جمع لها ثلاثون ألف فرس).
٦) أول من أمر قواده بموافاته بتقارير مفصله مكتوبة بأحوال الرعية من الجيش.
٧) أول من دوّن ديوان للجند لتسجيل أسمائهم ورواتبهم.
٨) أول من خصص أطباء والمترجمين والقضاة والمرشدين لمرافقه الجيش.
٩) أول من أنشأ مخازن للأغذية للجيش.

من دهاء الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

جمع القرآن الكريم بعد أن اتسعت رُقعة الدولة الإسلاميّة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وانتشر المسلمون في أرجائها، ونشأ جيلٌ جديد لم يشهدوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم يسمعوا منه القرآن الكريم، فكان أهل كلّ قُطرٍ من أقطار الدولة يتعلمون قراءة من اشتهر بينهم من الصّحابة؛ فتعلّم أهل العراق قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتعلم أهل الشام قراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه، وتعلّم غيرهم قراءة آخرين من الصحابة، وبسبب نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، نتج اختلافٌ بينهم في حروف الأداء، ووجوه القراءة، ممّا كاد أن يؤدّي إلى فتنةٍ عظيمةٍ، وفسادٍ كبيرٍ بين المسلمين؛ إذ إنّ بعض المسلمين أخذ يُخطأ بعضهم الآخر، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى تكفير بعضهم البعض؛ لأنّهم جهلوا أمر نزول القرآن الكريم على سبعة أحرفٍ، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- ما يدلّ على خطورة ذلك الموقف، حيث قال: (أنّ حذيفة بن اليمان قدِم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشامِ في فتحِ أرمينيّة، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزَع حذيفة اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: (يا أميرَ المؤمنين، أدرِك هذه الأمّة قبل أنْ يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى)، فجمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الأمّة على مصحفٍ مُوحّد مُجمعٍ عليه؛ حيث عيّن لجنةً مِن علماء الصّحابة فيهم زيد، وابن الزبير، وابن عباس،

وعبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن الحارث رضي الله عنهم، وأمرهم بجمع القرآن الكريم، ففعلوا ذلك، ثم أرسل إلى كلّ أفقٍ بمصحفٍ ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يُحرق. خدمة الحديث النبوي من الأعمال العظيمة التي قام بها عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ خدمته لحديث النبيّ عليه الصّلاة والسّلام، فقد رافقَ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فترةً طويلةً من الزمن، فكان يحفظ منه الحديث الشريف، ويتعلم منه العلم، فكان من أعلم الصحابة رضي الله عنهم، وبعد وفاة النبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- علّم الناس الحديث النبوي، فروى عنه مولاه حُمران، ومولاه الحارث، وأبناءه أبان، وسعيد، وعمرو، وعدد من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم- جميعاً، وقد روي عن عثمان -رضي الله عنه- عددٌ لا بأس به من الأحاديث التي نفعت الأمة، منها ما رواه عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال: (خيرُكم مَن تعلّم القرآن وعلّمه)، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي، وهو من الأئمة المقرئين أنّ الحديث الذي رواه عثمان -رضي الله عنه- كان السبب في تفرّغه لتعليم القرآن. الفتوحات الإسلاميّة في عهد عثمان واصلَ عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سلسلة الفتوحات الإسلامية التي بدأها قبله الخلفاء الراشدون، بل وأعاد إحكام السيطرة على بعض المدن الفارسية التي ثارت على الحُكم الإسلاميّ، كما حصل في أذربيجان، وهمذان، وخرسان، وطبرستان، وغيرها من المناطق التي فُتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن الجدير بالذكر؛ أنّ رقعة الدولة الإسلامية اتسعت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث تمّ في عهده فتح أرمينية، بعد أن أرهقت الحملات العسكرية المتتالية الأرمن فاستسلموا، بالإضافةِ إلى فتح طرابلس الشام، التي كانت آخر معقل للبيزنطيين على الساحل، والتي كانت تُعتبر منفذاً بحريّاً هاماً لبلاد الشام، ومن الأعمال الهامّة التي حدثت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتح جزيرة قُبرص.

تأسيس أول أسطول إسلامي شَهِدَ عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- تأسيس أول أسطول بحري إسلامي لمواجهة خطر البيزنطيين، وقد أُسس هذا الأسطول على يد معاوية بن أبي سفيان والي الشام، وقد حدثت أول معركة بحرية وهي معركة ذات الصواري بين المسلمين والروم في السنة الرابعة والثلاثين للهجرة، حيث كانت الغلبة فيها لجيش المسلمين.

وقد كانت من أعلى الخلافات والإمارات نسبا فهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصهره وهو العالم الرباني وصاحب العقل الكبير وذو حكمة مشهور بها فنقول وبالله التوفيق والسداد بويع عليٌّ -رضي الله عنه- بالخلافة يوم مَقتَل عثمان -رضي الله عنه- إذ اجتمع الصحابة ومنهم طلحة والزبير فطلبوا منه أن يبايعوه، إلّا أنّه رفض، فعادوا إليه مراراً يسألونه ذلك؛ فهو أقربهم من رسول الله، وأحقّهم بها فوافق على ذلك، وكانت مُبايعته في المسجد، وقِيل بايعوه في بيته، وكان ذلك في العام الخامس والثلاثين للهجرة في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة، ويُشار إلى أنّ عليّاً -رضي الله عنه- نقل مَقرّ الخلافة إلى الكوفة؛ لأنّها مُستَقرّ أعلام العرب في نظره. صفات ومميزات خلافة علي بن أبي طالب استمرّت خلافة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيّام، وقد اتّصفت بالكثير من الصفات، ومنها ما يأتي:

القرآن والسنّة المرجعيّة العُليا للدولة: كان منهج عليّ -رضي الله عنه- في إدارة دولته الالتزام بكتاب الله، وسُنّة رسول الله؛ فالقرآن يشتمل على جميع الأحكام الشرعيّة التي يحتاج إليها المسلمون لبناء دولتهم، والسنّة شاملة ومُوضّحَة لما ورد في القرآن من أحكام، وكان -رضي الله عنه- مُقتدِياً بمن قبله من الخلفاء؛ باتّباع نهجهم، والمُضِيّ على آثارهم. الشورى: كان عليّ -رضي الله عنه- مُلتزماً بمنهج الشورى في تصرُّفاته جميعها؛ عملاً بقوله -تعالى-: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)؛ إذ كان على دراية تامّة بأنّ التشاور مع المسلمين، واتّخاذ مُستَشارين له من أهل الوَرَع، والعلم، والسياسة هو السبيل لمعرفة كلّ ما يتعلّق بمحاسن الدولة، وعيوبها، وكان يَحثّ وُلاته على اتّباع نَهجه. العدل والمساواة: من أهمّ قواعد النظام الإسلامي التي تُساهم في نشر المودة بين الرعية إقامة العدل بينهم؛ لذا كان علي -رضي الله عنه- شديد الحرص على اتّباع العدل في حُكمه؛ فالحُكم لا

يستقيم إلّا به، وممّا يَدُلّ على أنّه -رضي الله عنه- كان مُؤهّلاً لإقامة العدل بين الناس ثقةُ رسول الله به عندما بعثه قاضياً إلى اليمن، فكانت صفاته الحميدة وعلمه بالفقه من الأسباب التي ساعدته على تحقيق العدل الشامل طوال فترة خلافته.

أهم أعمال علي بن أبي طالب قدّم عليّ -رضي الله عنه- أعمالاً يشهد لها التاريخ مقارنة بقِصر فترة خلافته، ومن تلك الأعمال ما يأتي:

حقّقت الماليّة العامّة للدولة الاسلاميّة في عهده الفائض الماليّ؛ فقد ازدادت إيرادات الدولة مقارنة بنفقاتها، وتمّ توزيع الزيادة بالعدل بما يَضمن تحقيق التكافل الاجتماعي، وقد تمكّن -رضي الله عنه- من تحقيق ذلك؛ لما تمتّع به من سياسة ماليّة حكيمة. كان -رضي الله عنه- أوّل من خصّص يوماً للنظر في المظالم، وهو من وضع علم النحو على المشهور من أقوال العلماء. كان -رضي الله عنه- حريصاً على تقديم النصح والإرشاد لرعيّته؛ من خلال الاحتكاك اليومي بهم، خاصّة يوم الجمعة، فخُطَب الجمعة تُعَدّ منبراً مهمّاً في توجيه الأمّة، وقد عُرِفَت خُطَبه بتأثيرها البالغ في نفوس الرعية؛ وذلك لاتّصافها بالآتي: الاقتباس من القرآن الكريم، والتأثّر بكلام رسول الله. قوة الألفاظ، وقِصَر العبارات، ووضوحها. استخدام أسلوب الطباق الذي يزيد المعنى وضوحاً، وتأثيراً. الصدق في النصح النابع من حبّه -رضي الله عنه- لرعيّته، فكان كلامه يدقّ باب القلب مباشرة.

عدل علي بن أبي طالب كان -رضي الله عنه- مثلاً يُحتذى به في إقامة العدل؛ فقد كان مُتَّبِعاً لسياسة رسول الله في تطبيق العدل الشامل بين الرعيّة؛ فالعدل دعوة عمليّة للإسلام تُؤَلِّف به القلوب؛ ولذا فهو من أهمّ الركائز التي نشأت عليها الخلافة الراشدة، ومن الأمثلة على عدله -رضي الله عنه- ما يلي: طلب جماعة من أصحابه أن يتقرّب إلى الأشراف؛ من خلال إغداقهم بالمال؛ حتى تستقرَّ الأمور بيده، فإن تحقّق ما يريد، عاد إلى العدل في القسمة بين الرعيّة، إلّا أنّه رفض ذلك، وقال: "أَتَأْمُرُوْنِيْ أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالجَوْرِ فِيْمَنْ وَلّيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الاسْلاَمِ وَاللهِ لاَ أَفْعَلُ ذَلِكَ لَوْ كَانَ هَذَا المالُ لِيْ لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُم فِيْهِ كَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُم". سأله أخوه عقيل أن يعطيه شيئاً من بيت مال المسلمين، فطلب إليه عليّ -رضي الله عنه- أن يلتقيا في المسجد يوم الجمعة، وعندما اجتمع الناس، وامتلأ المسجد بهم، قال -رضي الله عنه-: "مَا تَقُوْلُ فِيْمَنْ خَانَ هَؤُلاءِ، فَقَالَ أَقُوْلُ إِنَّهُ رَجُلُ سُوْءٍ، فَقَالَ إِنَّكَ سَأَلْتَنِيْ أَنْ أَخُونَهم". واعتمد عليّ -رضي الله عنه- على مبدأ المساواة في دولته؛ فهو أحد المبادئ العامّة التي حثّ الإسلام عليها، إذ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)، فكان -رضي الله عنه- يُقسّم المال الوارد إلى خزينة الدولة مباشرة بالتساوي بين الناس؛ فلا يأخذ منه شيئا لنفسه إلّا مثلما أخذه غيره من الناس، وورد عنه أنّه أعطى امرأتَين الطعام والدراهم بالتساوي بينهما دون النظر إلى أصليهما، فاحتجّت إحداهما على ذلك؛ كونها من العرب، والثانية من العجم، فقال: "إنّي والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق".

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً

إعداد/ علي بن محمد المطري عفا الله عنه

١٤٤٢/٠٨/٢٩هـ الموافق ٢٠٢١/٠٤/١١م